

## خاتمة

ينظر الاسلام الى المال على أن له وظيفة اجتماعية هي النفع للجميع - من يملك ومن لا يملك - طالما أن المال لله على الحقيقة والله للجميع وان وقع المال في استخلاف بعض الناس دون بعضهم الآخر . يقول الله تعالى : « والله فضل بعضكم على بعض في الرزق ، فما الذين فضلوا برادى رزقهم على ما ملكت أيماهم فهم فيه سواء ، أفبنعمة الله يجحدون » (١) .

وإذا كانت منفعة المال لمن يملك ومن لا يملك على السواء فالمالك كالعامل سواء بسواء . كلاهما له مصلحة في المال وكلاهما له مصلحة في العمل فيه .

فالمالك ان بدت له مصلحة في العمل في ماله ، فالعامل له أيضا مصلحة حقيقية كذلك في مال المالك عدا أنه يؤجر على عمله فيه وهي مصلحة المشاركة في منفعته العامة . . فهو على فرض أنه سيعجز عن العمل يوما ما فمصلحة المشاركة في منفعته باقية له ، يأخذ منه ليعوض عن عجزه وعدم صلاحيته للعمل . .

وعمارة الكون اذن تقوم على المالك والعامل معا . . المالك يحرس ماله وبيباشر تنميته والعامل يعمل فيه ويؤجر على عمله . ولا تتم هذه العمارة بسيادة الملاك وحدهم عن طريق المال ولا بملكية الدولة مع قطعان العمال التي تسوقهم الى انعمل سوفا .

فكون الانسان مستخلف في مال الله معناه أن الله قد حرم عليه الطغيان عن طريق ملكية المال لأن المستخلف مطالب بالسير في طريق تحقيق العدالة الاجتماعية طبقا لأوامر الاسلام وأولها تحقيق المنفعة العامة للمال للمالك ولغير المالك على السواء « فهم فيه سواء » . .

---

(١) النحل : ٧١

فضلا على فريضة الزكاة التى تصهر هذا المال ثم الابتعاد عن انفاق المال فى عبث أو فساد أو جمعه عن طريق الاستغلال طريق الحرام •  
« وهكذا هناك ثلاثة نظم فى ملكية المال وانماؤه وانفاقه •• وبالتالى هناك ثلاثة أنواع من المجتمعات :

أولا : الملكية الفردية للمال والحرية فى انماؤه وانفاقه •• ومجتمع هذا النظام هو المجتمع الرأسمالى أو مجتمع الملاك •

ثانيا : ملكية الدولة للمال • وممارسة الدولة السيادة على الأفراد فى تحديد العمل والأجور ومجتمع هذا النظام هو مجتمع العمال بدون مالكين للمال •

ثالثا : الملكية الفردية للمال والالتزام فى انفاقه وانماؤه بحدود الاستخلاف فيه • وهذه الحدود نحول دون الطغيان به ، ومجتمع هذا النظام هو مجتمع الملاك والعمال معا أو المجتمع الاسلامى •

وهكذا دخول الاستخلاف فى الملكية الفردية للمال هو الفيصل فى تمييز المجتمع الاسلامى عن المجتمعين الآخرين •• الرأسمالى والعمالى •• لأنه على أساس من الاستخلاف فى المال لا توصل الملكية الفردية الى الصراع الطبقي •• وبالتالى الى التحول الى المجتمع العمالى •• فالاستخلاف كتفويض من الله تعالى يضع المالك للمال أمام مجموعة من القيود أو المبادئ لا يحيد عنها •• يضعه :

١ - أمام المنفعة العامة للمال ، فيشرك أصحاب الحاجة معه •  
٢ - وأمام عدم الاستغلال لصاحب الحاجة عند التنمية ، فيمتنع عن الربا ، وأكل أموال الناس الضعفاء •

٣ - وأمام عدم العبث والتقيد فى الانفاق على الذات أو على الآخرين ممن يجب الانفاق عليهم •

وبهذه القيود والمبادئ لا تكون الملكية الشخصية طريقا الى الطغيان بالمال والتدخل فى شؤون الحكم وتوجيه سياسة المجتمع • بل تبقى طريق المباشرة النشطة للمال •

وبهذه القيود أو المبادئ كذلك لا تكون الملكية الشخصية منفذا

أبى تكديس إثمورة ، ولا الى الشح في انفاقها • فمانع الزكاة مرتد ويقا تل على رده • وتقسيم الارث ضرورة اجتماعية واقتصادية « (١) »  
 وبهذه القيود أو المبادئ كما تكون للمال حرمة عدم الاعتداء عليه  
 باتلافه أو تخريبه أو الامتناع عن العمل في انمائه • • تكون للعامل الحقوق  
 التي قررها الاسلام والتي أفضنا القول عنها فيما سلف من أبواب هذا  
 الكتاب وهي في ايجاز :

١ — كفاية الأجر وحده الأدنى ضرورات الحياة من مأكل وملبس  
 ومسكن •

٢ — قداسة هذا الأجر حتى أن الرسول صلى الله عليه وسلم  
 يأمر بدفعه قبل أن يجف عرق العامل •

٣ — كفالة أسرته بعد وفاته أو في حالة عجزه •

٤ — ايجاد فرص العمل له عند تعطله •

٥ — عدم جواز تشغيله في عمل محرم •

كما فرض الاسلام على العامل واجبات أهمها :

١ — الأمانة • • فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من  
 غشنا فليس منا » •

٢ — اتقان العمل « اذا عمل أحدكم عملا أحب الله أن يتقنه » كما  
 أمر الرسول عليه السلام •

٣ — أن يكون الله غايته • فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
 « لا يؤمن أحدكم حتى يحب الشيء لا يحبه الا لله » •

والاسلام قبل ذلك دعوة حارة للعمل والجد في اعمار الأرض  
 واستخراج خيراتها واكتشاف المخبوء منها بعد الفكر والتأمل في ملكوت  
 الله وآياته •

يقول تعالى : « هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعا » (٢) •  
 ويقول : « هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا  
 من رزقه » (٣) •

(١) من بحث للدكتور محمد البهى بعدد رجب ١٣٩٦ من مجلة الاعتصام  
 القاهرية •

(٣) الملك : ١٥

(٢) البقرة : ٢٩

ويقول : « وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله » (١) .  
ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده ، وان نبى الله داوود كان يأكل من عمل يده » .

ويرفع العمل الى مرتبة الفريضة فى قوله : « طلب كسب الحلال فريضة بعد الفريضة » .

انها دعوة للانطلاق الى العمل فى كل الآفاق والى الاجادة والى الجد والى أمانة الخلافة التى فرضها الله على الانسان .

انها دعوة لبيستفيد الانسان من كل طاقاته وأن يحرص على خدمة نفسه وأهله ووطنه والانسانية كلها . . . . والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز » .

ولهذا كان على المسلم اذا ضاق به العيش فى مكان أن يهاجر منه الى مكان آخر واذا أخفق فى نوع من العمل أن يجرب نوعا آخر .  
يقول المولى عز وجل : « ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الأرض مراغما كثيرا وسعة » (٢) .

ولا يرضى الاسلام للمسلم أن يعيش ذليلا فيقول مولاه :

« ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الأرض ، قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ، فأولئك مأواهم جهنم ، وساءت مصيرا » (٣) .

فلو أن العالم الاسلامى — بموارده غير المحدودة — أجرى حكم الاسلام فى أمواله لما وجد فى المسلمين متعطل واحد أو فقير .

« ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل وما أنزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم » (٤) .

ولو أننا عدنا أمة واحدة كما أرادها الله وكما ضرب لنا عمر بن الخطاب المثل الأعلى للأمة الواحدة عام الرمادة الذى نزلت فيه المجاعة

(٢) النساء : ١٠٠

(٤) المائدة : ٦٦

(١) النحل : ١٤

(٣) النساء : ٩٧

بجزيرة العرب فتصافرت الأمة الاسلامية كلها في مصر والشام والعراق لدفع أخطارها وكانت قوافل عمرو بن العاص بالغذاء أولها بالمدينة وآخرها بالفسطاط في مصر •

و لو لم يطغ غنى بما يملك ليذل فقير بخقره •• لسعد كل أخ بأخيه ولما وجد بيننا مكان لتلك الأبواق الناعقة التي تروج لكل مذهب دخيل وعجيب حتى يجرؤ بعضها على رمى الاسلام بأنه رجعية أو دعوة الى تخدير الشعوب •

كيف يرمى الاسلام بهذه الفرية وهو الذى جعل من القلة المسلمة جمهرة ضخمة قوية سادت الدنيا •• ؟

انها دعوة لا يستعلن بها الا ممسوخ العقل ممسوخ الآدمية ••

« وعهدنا بالمنوم يستولى على الجموع القوية المخوفة ، فلا يزال يلعب بها لعه وبيذر فيها بذوره ويستقى ثعلها بالماء لا بالنفط حتى يصير الجمر المتقد رمادا لا وميض فيه ولا خوف منه ، أما أن يستولى على المتفرقين فيجمعهم والضعفاء الهامدين فيجعل منهم الثعب المحرقة والسيلول المتدفقة والقوة الخارقة التى تنتصر بالرعب على مسيرة شهر ، ثم يقال انه نومهم لأهل الظلم والبغى فهى ضلالة لا تجد من يعلنها الا فى هذا القطيع الشائه الممسوخ •

وما ذا كذلك فى تخدير رسول الله للجماعات ؟ •

انه نوم الفقراء لأهل الغنى والمال ويكفيك على هذا برهاننا أن قد شرع لهم حقوقا مقدسة فى أموال هؤلاء الأغنياء ثم وكل الى السيف أن يستنقذها من رقابهم كلما جحدوها ••• ونوم الفقراء لأنه انتقل بهم من الفقر المدقع الى القصور الشامخة والثراء الواسع على ما تثبته حقائق التاريخ •

والآن هل هى معجزة غيرت حال هؤلاء غير الحال ؟ أو هو سحر أظهرهم للناس فى صور الملوك والأقبياء ؟ أو هى المصادفة التى تواتى صاحبها برمية من غير رام ؟ •

لم تكن معجزة ولم يكن سحرا ولم تكن مصادفة ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقائد الذى يقود الشعوب على غير ما رسم

الله من سنن الوجود .. وسنن الوجود مقدمات ونتائج ، وأسبابه  
ومسببات ، وسبل تفضى الى عواقب لا محالة .. وقد رسم له ربه فيما  
رسم « وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى  
الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى  
لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا » (١) .. فماله لا ينهض الى هذه  
الخلافة ؟ وماله لا يعلم أصحابه أن يؤدوا مراسيم هذه السيادة ؟ والدرس  
كلمتان خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان فى ميزان الحقيقة : الايمان ..  
والعمل !

الايمان بالمثل الفاضلة والمعنى الروحية الكريمة .. أو الايمان  
بالله واليوم الآخر .

ثم العمل الذى يستمد روحه من هذه المثل ... فاذا اجتمع هذا  
الايمان الى العمل الطيب المثمر كانت النتيجة التى لا بد منها .. النتيجة  
التى يربحها ويحبها كل رجل نبيل فاضل وكل أمة نبيلة فاضلة ، خلافة  
فى الأرض ... وتمكين لما تعتق من مبادئ الحق .

أما الايمان وحده فهو من أمالى العاجزين ولا نصيب لصاحبه الا  
الحرمان والهوان ..

وأما العمل وحده فهو سبيل الجحيم وسنة الشياطين .. وما نظن  
جيلا من الأجيال عمل ما عملت أوروبا ولكن ما نظن جيلا من الأجيال كذلك  
محق الله البركة من عمله وأذاقه الويل بما صنعت يدها كما عهدنا بأوروبا  
« ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة أو تحل قريبا  
من دارهم » (٢) .. فلا بد للايمان من عمل ، ولا بد للعمل من ايمان ،  
وهذا ما جاء به الدين وطبقه رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا القلة  
كثرت ، واذا الضيق سعة وبسطة وذا الضعف المهين قوة ومنعة وتلك  
سنة الله ، ولن تجد لسنة الله تبديلا .

أيها الناس .. لقد أمر الدين بالعمل وها أنتم هؤلاء ترونه يسمو  
بأمال أصحابه ، فلا يرضى لأحدهم أن تكون همته رغيفا يأكله ؛ أو  
لباسا يستره ، أو درهما يكتزه .. بل هيمنة على أرض الله ، وخلافة

(٢) الرعد : ٢١

(١) النور : ٥٥

كريمة على ما فيها من كنوز وأموال وقياما على شعوبها بمبادئ العدل والخير والسلام .. وليس وراء ذلك أمل لآمل» (١) •

« والله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون » (٢) ••

وأضيف حقيقة تثبت بالأرقام •• لو أن زكاة المسلمين أخرجت. لاتسعت دائرة الاستهلاك ولا ترتفع مستوى المعيشة في العالم الاسلامى. ولدارت المصانع في كل ركن من أركان هذا العالم ولعمرت الأرض ولحق الفقر ولأقمنا ركنا من أركان الاسلام مهدوما في معظم دول الاسلام مع أن من هدمه مرتد ••

أخيرا •• لا بد لنا أن نعود أمة واحدة كما كنا وأن يتم التكامل بيننا وأوله التكامل الاقتصادى الذى يتضمن حرية العمل في العالم الاسلامى. للعامل المسلم وبه سيقوم الترابط وستقوى شعوب الأمة الاسلامية. وستصبح قوة عظمى يحسب لها ألف حساب •••

نسأل الله تعالى للأمة الاسلامية سدادا وتوفيقا ••



---

(١) الاسلام لا شيوعية ولا رأسمالية للبني الخولى ص ١٥٧ ، ٦٥٨

(٢) المنافقون : ٨